فضل شهر رمضان

الشيخ مشهور بن حسن

الحمد لله رب والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

أما بعد.

بادئ ذي بدء، أُهنئكم وأُهنئ نفسي بأن يسَّرَ الله لنا بمنِّه وكرمه و جعلنا أن ندرك رمضان .

وكان السلف يدعون الله تعالى دائماً أن يُهيِّئ لهم إدراك رمضان؛ وأن يُهيِّئ لهم الصيام والقيام المقبولين .

الذي أريد أن أتكلم حوله في هذه الوِجازة ولن أطيل .

رمضان يبدأ من أذان المغرب لهذا اليوم - عند إعلان المفتي شهر رمضان- فنحن الآن في رمضان، والأعمال الصالحة تبدأ بدخول غروب الشمس في ليلة رمضان .

ولذا المسلمون يقومون رمضان قبل أن يصوموا، لأن الليل سابق النهار، فالليل يسبق النهار، فاليوم الأخير في ليلة العيد في ليلة واحد شوَّال لا نقومه لأن رمضان ينتهي بغروب شمس اليوم الأخير، فاليوم الأخير لا نقومه، ولذا بدلاً من تلك الليلة نقوم هذه الليلة، فهذه الليلة يبدأ رمضان من هذا الوقت ومن هذا الوقت كما أخبرنا نبينا ﷺ في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ينادي منادٍ من السماء يا باغي الخير أقْبُل ويا باغي الشر أقْصِر.

الحديث رواه الترمذي برقم (٦٨٢) في باب: ما جاء في فضل شهر رمضان "حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ بْنِ كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ : يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ، أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ، أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلكَ كُلُّ لَيْلَةٍ ". وَفِي الْبَابِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَسَلْمَانَ.".

هذا (خبر) نحن ما نسمع منادي السماء لحِكَمٍ بليغة. ومن ضمن من هذه الحِكم أن نصدق الصادق المصدوق الذي أخبرنا بهذا الخبر .

النبي ﷺ أخبرنا أن منادٍ من السماء ينادي، ولذا لا يُقبِل على المعاصي في رمضان إلا الشقي .

وبعض الناس يستشكل كيف تُصَفَّد الشياطين في رمضان والناس يُقبلون على المعاصي، وهذا الاستشكال إن كان له حظ من النظر فجوابه سهل، فبعض الناس الشيطان برمجه على فعل المعاصي.

ف (الشيطان) يُصفَد ولا يستطيع أن يتحرك كما كان في غير رمضان، وهذا الإنسان يبقى على ما هو عليه يبقى على عادته قبل رمضان.

ففي رمضان تنفطم الشهوات والاسترسال فيها إن كانت من المباحات، و ينبغي أن تزول بالكلية إن كانت من المحرمات .

فالشرع له حِكمه وحكمته بالغة، وينبغي أن يتأملها المسلم دائما، في النهار منعه من الطعام والشراب، في الليل لمَّا أذن له بالطعام والشراب أشغل ليله بالقيام، فهو (الشرع) يعمل على تربيته، الشرع أراد أن يربينا، ربُنا تعالى أراد منا أن نتربى وأن نربي أنفسنا، فنمنع حظها من الليل إلى القيام. وتُستحب أن يقوم الإنسان للقيام، وأن يحضر قلبه لمَّا يقف بين يدي الله سبحانه وتعالى، وأن لا ينشغل في الوقت ما يسأل كم الإمام سيقرأ؟ أنت تريد أن تربي نفسك والواجب عليك أن تتخرج من هذه المدرسة كما قال الله عز وجل { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183)} البقرة .

يعني كل إنسان يلتحق بدورة، يلتحق بمعهد، يلتحق بجامعة، له مطلب وله غايه. الصيام الغاية منه أن تُحصِّل التقوى. التقوى حاصلة في الصيام .

الإنسان تمر عليه أوقات ويستطيع أن يختفي عن أنظار الناس وعن أنظار أهل بيته، لكنه لا يأكل ولا يشرب لأنه يشعر أن الله جل في علاه يسمعه، وينظر إليه، وأن الله يراقبه .

فالمطلوب في مدرسة الصيام إن أردنا أن نتخرج من هذه المدرسة أن نتخرج منها بشهادة التقوى .

قيل لأبي بن كعب ما التقوى؟

فأجاب بجواب بليغ وأجاب بجواب حسي، شبه التقوى التي هي قوة تصور بالشيء المنظور، فقال للسائل: أسِرْتَ في طريق وعِرٍ؟

قال: نعم .

قال: أفيه شوك وأحجار وما شابه؟

قال: نعم .

قال: ماذا فعلت؟

قال: شمَّرت واجتهدت وتَوَقَّيت.

فقال له أُبي: هذه هي التقوى.

التقوى أن تُشمِّر وأن تُحفِّز همتك وأن تقوي إرادتك وأن تحمل على نفسك في هذا الشهر كما تحمل في الجوع و عدم الطعام والشراب .

فمن التمام والكمال أن تكون كذلك في القيام، أن تصلي صلاة يحبها الله جَل في عُلاه .

ولا تنسى في الأول والأخر في الصيام والقيام النِّية .

فالنبي ﷺ صح عنه ثلاثة أحاديث في ثلاثة مناسبات وهي من أهَم المهمات التي يجب على الصائم أن لا ينساها أبدا .

فقال ﷺ من صام إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه.

الحديث رواه البخاري برقم (٣٨) في كتاب الإيمان -باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان. "حَدَّثَنَا ابْنُ سَلَامٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ."

ثم قال ﷺ في حديث آخر: من قام إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه .

الحديث رواه النسائي برقم (١٦٠٢) في سننه كتاب قيام الليل و تطوع النهار - باب ثواب من قام رمضان إيماناً و احتساباً. "أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ ، عَنْ مَالِكٍ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ

الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " صححه الألباني.

ثم قال في حديث ثالث. قال ﷺ: من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه .

الحديث رواه البخاري برقم (٣٥) كتاب الإيمان - باب قيام ليلة القدر من الايمان. "حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ ، عَنِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ."

وهذه المسألة غفر له ما تقدم من ذنبه بعض الناس أيضا يستشكل والكلام فيها طويل، ولا أسترسل ألجم نفسي، لكني أرفع هذا الإشكال على عجل وأختم كلمتي هذه حتى نتهيأ للقدوم لصلاة العشاء لنصلي بإذن الله تعالى القيام .

النبي ﷺ يقول الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما، والصلاة الصلاة كفارة لما بينهما، ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما.

الحديث رواه مسلم برقم (٢٣٣) في كتاب الإيمان- باب المكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر." حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ ، وَهَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ ، قَالَا : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، عَنْ أَبِي صَخْرٍ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ إِسْحَاقَ مَوْلَى زَائِدَةَ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ : " الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ"" ،

في رمضان من قام غفر له ما تقدم، من صام غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر غفر له ما تقدم، إذن إذا اجتمعت المكفرات، فإن وَجَدت شيئاً لم يُكفر من الصغائر فإنها باجتماعها تنال من الكبائر .

الأصل في هذه الكفارات أنها ليست للكبائر، ولكن رجل فعل الكبائر نسأل الله عز وجل العفو والعافية الأصل فيها أن لا تُكَفَّر بهذه الذنوب، لكن إذا هذه الطاعات اجتمعت جمعة للجمعة، والصلاة للصلاة ورمضان لرمضان، ثم في رمضان الصيام ثم القيام ثم قيام ليلة القدر، فإذا هذه الكفارات اجتمعت فيقوي بعضها بعضاً كما يقول علماء الحديث: "الطريق يقوي الطريق" فيقوي بعضها بعضا على وجه إذا ما وجدت الصغائر لعلها تنال أيضا من الكبائر .

لذا لا تقول أنا فقط أقوم ليلة القدر فقط ما دام أنها تُكَفِّر ما تقدم من ذنبي. فهي تغنيني عن قيام باقي الأيام، هذا خطأ، ليس أجر من قام ليلة القدر فقط كأجر من قام رمضان، ثم ليلة القدر مَنْزِلة ما يدركها العبد إلا بتوفيق من الله عز وجل .

لذا كان بعض الصحابة كما في الصحيح كان يقول: من قام ليالي السنة فقد قام ليلة القدر.

كم من إنسان في ليلة القدر تراه واقف وراء الإمام وليس له قلب ولا يدرك ماذا يقول الإمام .

لذا من رحمة الله بنا أن جعل ليلة القدر أخر رمضان للكسالى أمثالنا الكسالى الغير معتادين على قيام الليل فمن رحمة الله عز وجل أن أعطاك مهلة أكثر من عشرين يوم تتدرب حتى تصل إلى لية القدر حتى تكون مُهيَّأ، عشرين تجربة، وهذا يدل على أهمية ليلة القدر .

فالصيام موجود عند من قبلنا لكن ليلة القدر ليست موجودة عند من قبلنا، فالله جل في علاه عوضنا وجبر كسرنا بالنسبة إلى من قبلنا أن خصنا بليلة القدر، ليلة القدر خاصة بأُمة محمد ﷺ، أما الصيام الواجب موجود. أما قيام ليلة القدر كما قال الله عز وجل. {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3)} القدر.

قرابة خمسة وثمانين عام .

عمري وعمرك وعمر أمة محمد ﷺ. كما قال ﷺ و الحديث عند الترمذي قال: أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين.

الحديث: في جامع الترمذي برقم (٣٥٥٠) "حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُحَارِبِيُّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ ". هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ." حسنه الالباني .

متى يدخل الإنسان في العقد السادس؟ لمّا يكون عمره خمسين. لما يصبح عمرك الخمسين دخلت في العِقد السادس، وإذا صار عمرك ستين دخلت في العِقد السابع. العِقد السادس يبدأ من خمسين والعِقد السابع يبدأ لما تصير ستين .

والنبي ﷺ في الحديث في رواية فيها في زيادة صحيحة يقول: أعمار أُمتي ما بين الستين والسبعين وقل من تجاوز ذلك ، قليل الذي يتجاوز ذلك .

فعمر أمة محمد ﷺ (إنس وجن) ليس فقط الإنس عمر أمة محمد ﷺ من الستين إلى السبعين .

الله جل في علاه ذكر لنا قصة سيدنا نوح عليه السلام فذكر أنه بقي يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاما.

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (14) العنكبوت.

عمره في الدعوة إلى الله تسعمائة و خمسين عاما، يعني مَن قبلنا كان يعيش الواحد منهم ألف و ألفين و أربع آلاف سنة .

فنحن أخر الأمم، ونحن أفضل الأمم، فبماذا فضلنا ربنا على غيرنا؟ فضلنا ربنا تعالى على غيرنا بيوم الجمعة وليلة القدر.

يوم الجمعة من أن تمشي من بيتك إلى المسجد بشروط ذكرتها في أكثر من مرة في هذا المسجد المبارك هذه الشروط إن توفرت فيك لك بكل خطوة تخطوها من البيت للمسجد بكل خطوه تخطوها قيام سنة و صيام .

يعني لو واحد مشى عشرين كيلو يوم الجمعة ما أدى حق الجمعة .

كل خطوة تخطوها من بيتك إذا بكَّرت للصلاة و اغتسلت ولم تلغو وانشغلت بالصلاة أو بالذكر من بيتك للمسجد في كل خطوة قيام سنة و صيام سنة.

في ليلة القدر في هذه الليلة وحدها يُزاد في عمرك في الطاعات خمسة و ثمانين سنة .

تخيل شاب صغير نشأ بين أبوين صالحين وحثوه على الصلاة في المسجد، وأدرك الجمعة وأدرك ليلة القدر وأدرك مثلاً أربعين أو خمسين ليلة القدر فكم يكون أربعين و خمسة و ثمانين. فنكون أدركنا من قبلنا واللهِ و زيادة .

لكن المصيبة أن يكون الإنسان أجلكم الله غافلاً، وأن يكون جاهلاً. وأن يكون أجلكم الله جيفة في الليل يعني يبيت ولا يصلي. بعض الناس يبيت وكما ثبت في الصحيح قال من بات حتى يصبح فقد بال الشيطان في أذنيه.

الحديث رواه البخاري برقم (٣٢٧٠) كتاب بدء الخلق- باب صفة إبليس وجنوده "حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَهُ حَتَّى أَصْبَحَ، قَالَ : " ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ "، أَوْ قَالَ : " فِي أُذُنِهِ ."""

يعني الله يعزُّكم مرحاض للشيطان موجود هذا الصنف من الناس؟ ما أكثرهم!

من نام حتى يُصبح هذا مرحاض للشيطان.

ماذا يعني يُصبح بعض أهل العلم قالوا حتى يُصبح يعني ما قام الليل و تبويب البخاري يشير لهذا، ومنهم من قال من نام حتى يصبح أي نام عن الفريضة وهذا أرحم للأُمه، هذا القول الثاني هو الراجح. هو الذي رجحه الحافظ إبن حجر .

"قَالَ سُفْيَانُ - هو الثوري ، أحد رواة الحديث - : " هَذَا عِنْدَنَا يُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ نَامَ عَنِ الْفَرِيضَةِ. "

وقال الحافظ رحمه الله:

"وَيُزَادُ بِهِ صَلَاةُ اللَّيْلِ أَوِ الْمَكْتُوبَةُ ، وَيُؤَيِّدُهُ رِوَايَةُ سُفْيَانَ : هَذَا عِنْدَنَا نَامَ عَنِ الْفَرِيضَة " انتهى من "فتح الباري"

فبعض الناس نسأل الله عز وجل العافية وهو صاحي نائم و هو نائم مَبْولة للشيطان. فأنى لهذا الإنسان أن يُطال عمره ويدرك من قبلنا.

كيف ندرك من قبلنا؟

بالحفاظ على صلاة الجمعة وفي ليلة القدر.

نفهم الأمور منذ البداية لماذا أنت مقبل على الصيام؟ لماذا أنت تصوم؟ لماذا تقوم؟

حتى يُغفر لك ذنبك، حتى تنال شهادة التقوى تتسلح بها في أثناء الحياة طوال حياتك حتى تبتعد عن المحرمات .

وما أكثر المحرمات هذه الأيام الزنا، النساء الأن يتحرشن بالشباب، الآن المعاصي انتشرت و اشتهرت فحتى نهذب أنفسنا فلا بد أن نُلجمها من حظها الحلال من الطعام والشراب في نهار رمضان وجوباً وكذلك في الليل نُلجمها حتى نهذبها حتى نربيها .

فربُنا ربَّانا في ليالي رمضان نشغل أوقاتنا بأن نحمل أنفسنا على الطاعات .

نسأل الله أن يعيننا وإياكم على الصيام والقيام، يتقبل منا ومنكم العمل الصالح، وأن يُهيئ لنا العمل الذي يحبه ويرضاه الصيام والقيام الذي يحبه الله تعالى ويرضاه. هذا وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين✍.